



لما نشأت كانت نظرتي للدين في أن أقيم الصلاة والشعائر التعبدية بأركانها وأتشدد في تفاصيلها ودقائقها، وأن أقتل الجزئيات بحثاً وتدقيقاً وتمحيصاً.

حتى أصبحت عندي هي المعيار الدقيق لمستوى التحصيل العلمي بل ولمعرفة منسوب الإيمان والتقوى في قلب المرء فأخذت أقيس الناس قرباً وبعداً عن جادة الحق بها.

حتى أني كنت أرى ذلك الفتى الذي وضع علاماتٍ في الأرض لمواضع يديه ورأسه وركبتيه لكي يهوي عليها في صلاته ولكي تأخذ المسافة الشرعية هو الأهدى إلى سوء السبيل ..

غصت في (بلغ المرام) ، وأذكر أني اجتهدت في كتابة مذكرة شارحة لـ(زاد المستقنع) خططتها بيدي، بعد ما أرهقني حاشية الصاوي بهوامشها، وكبلت نفسي وذهني بالقيود عندما قرأت مباحث النية للشافعية.. وأعيرتني الأرقام وأعداد القمل والحشرات التي كنت أحفظها في مراجع المالكية عندما تتناثر من وجه الحاج ورأسه وأراد أن يبعد آذاناً ويقتلها وهو محرم ..

كان منتهي أمني أن أعرف هل نزل النبي عليه الصلاة والسلام على يديه أم ركبتيه في سجوده ؟
نعم كنت فيمن يردد أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولكنني اتخذت من التحرير منطلقاً وأصلاً لكي يكون هوساً أعدني عن العمل والتفكير ..

سلوكي كان يتجسد في كلمات مخصوصة ومظاهر معينة أرى فيها الدين الصراح ...
كان يدور في خلدي سؤال كلما طرأت مسألة من مسائل الخلاف وأخذ صاحبها بالقول الأيسر..... ما هذا؟ وكيف يحصل ذلك؟
هو ذاك لماذا أخذ بالقول المجيز للمعازف؟

أليس هذا تملقاً وإنفلاتاً من الأحاديث الواردة في سياق التحرير والوعيد بالويل والثبور؟ كيف تركها لتلك الأقوال التي تقول بأن الأحاديث بعضها معلق لا يصح وبعضها الآخر لا ينص صراحة على التحرير والآخر به صارف عن التحرير؟
ألا يتملص صاحبي من هذه الضوابط والخطوط الحمراء حتى صار الأمر كلعبة يمتع قوانينها فأصبحت لا تستثير كوامن

النفس في المواصلة والتحدي .

كيف يضرب صاحبي بكل هذه الصفحات والمجلدات التي أُلْفَت عرض الحائط ويعدل عنها إلى أقوالٍ أخرى .

ثم بدأت مداركي تتسع واحتلاكي بأقراني يزيد وغالبية الحياة في متابعتها تكثر وتترافق ، حتى كان كل يوم في هذه الحياة مدرسةً لا تعطيك المعلومة فقط بل يجعلك تمارسها فتغدو قادحة في نفسك وإن عجزت عن التعبير عنها .

إلى أن انفلق لي طود عظيم فرأيت مجده وسبحت في أكتافه ؛ فوجدت من وراء ما كنت فيه أرض الله الواسعة ، وأن الشريعة بأحكامها ترمي إلى مقاصد عظمى لتصب تغذيةً في قيم الإسلام الكبرى .

نعم .. هي قيم الإسلام وأخلاقه أكبر من أن تُختصر في اختلافات فقهية وتحصر في نظرات ضيقة متأثرةً بعصور ونفسيات ومعايش كثيرةً من كتابوها.

يا الله كيف ضاع هذا الردح من الزمن وهذا الوقت من العمر في مسائل بهذه ظلال الوكها وأبحث فيها بل وأُقيم وأقعد الدنيا من أجلها.

أين كانت هذه الروزنة التي انفتحت لي حتى أرى هذا الإباء والإيثار والعدل والحرية ومساعدة الآخرين ومحبتهم قيماً للإسلام، نعم فمن أجل هذه القيم ندخل النار أو ننعم بالجنان.

ليس كما ظهر لي من قبل من أجل سروالٍ نصل أسفل العرقوب، بل هو التكبر على الناس وغنم حقوقهم والترفع عليهم.

نعم هذه القيم هي الأولى بأن نصرف جل أوقاتنا في دراستها وفحصها وإسقاطها على واقعنا.

لو أنفقت عمرك كله ومثله معه ما كفاني أن أعالج نفسي وأغالبها كي تكون طيعةً لهذه القيم، وقادفةً عند حدودها.

أجزمُ أنني سأخذ أضعاف أضعاف ما أخذته في دراسة هذه المسائل والعكوف عليها لمحو ما قدمت وآثارها من الجدال والحرص على إظهار الآخر بمظهر المهزوم الممزعج للدين، والظهور بمظهر المنتصر المحافظ على الشريعة والحمى لها.

أحتاج لوقت لرأب ما صدعت، وللألم ما فتقت لقد أهملتها فكانت تكبر حتى غدت حالةً للقيم والأخلاق من حيث أدربي ولا أدربي.

الآن آمنت بأن الإسلام هو: أن تحب أخاك بقلبك وأن تسرف في حبه ومساعدته أولى من أن تسرف في مراقبة حركة سبابته في الصلاة.

الإسلام اليوم

المصادر: